**جامعة تكريت – كلية التربية للعلوم الإنسانية– قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية – البكالوريوس– المرحلة الرابعة**

**اسم المادة : الإعجاز القرآني**

**عنوان المحاضرة**

# الإعجاز البياني

**أ.د عثمان فوزي علي**

**الإعجاز البياني**

في هذا المبحث تبيان للعجز عن التشبع بالمعاني الجديدة التي كان يطرقها القرآن ، وهذا بعض المعجزة ، إنه العجز عن الوقوف على أسرار البلاغة القرآنية ، وطريقة تناول الآيات للمعاني ، فضلاً عن غير ذلك من المعجزات ، بل يمكن لنا القول أن الإعجاز البياني سبق بقية أنواع الإعجاز التي حفل بها القُرآن الكريم التي وقفنا عليها ، التي لم نقف عليها بعد .

وهكذا أنبأنا التاريخ بهذا العجز في عصر القرآن ، ولكن لم تُطْو صفحة التحدي في العصر الذي بعده وأهله بعد على سلائقهم العربية ، وفيهم من يود أنْ يتأتى على هذا الدين من أساسه ، وما أيسره عليه لو دخل إليه من باب القرآن بقبول التحدي ، ولكن التاريخ لم يسجل لأحد فيه قدرة على ذلك ، بل حِيل بينهم وبين ما يشتهون كما فُعِلَ بأشياعهم من قبل .

والمعجزة القرآنية البيانية ، ليست معجزة آنية تحكمها الظروف ، بل هو معجزة خالدة متطاولة مع امتداد الزمان ، فإن عجز عنه أهل اللغة الفصيحة والبيان السليم ، فهل سيتسنى ذلك لمن سيأتي من بعد ؟

لقد مضت القرون ، وورث اللُّغة عن أهلها الوارثون ، وكلما تطاول الزمان بين عصر المبعث والعصور التالية له ، كان أهلها أشد عجزاً ، وأقل طمعاً في هذا المطلب العزيز ، لانحراف ألسنتهم وفساد سلائقهم ، وكانت شهادة على إعجاز القرآن إلى أنْ تطوى صفحة هذا الوجود ، ويرث الله تعالى الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين . وإنْ كنا نذهب مذهب القائلين بأنَّ عجز القوم راجع إلى نظم القرآن وبلاغته ، وشرف معناه ودقته ؛ فما ذاك إلاَّ لأنه لم يصح وجه آخر لإعجاز القرآن سواه عند التحدي أول عهد العرب به ، وأنَّ ما أضيف إلى إعجازه البلاغي من وجوه أخرى كالإعجاز الغيبي ، والإعجاز العلمي ، والإعجاز التشريعي ، فإنما كان ذلك عندما اكتمل عقد القرآن ، ونظر الباحثون إليه جملة واحدة بوجوه المتكاملة .

بعد هذه المقدمة يمكن لنا أن نعرّف الإعجاز البياني:

تعريفه : يقصد بالإعجاز البياني :هو بيان كل آية من آياته التي يستخدم القرآن الكريم لها أساليب كثيرة في غاية الفصاحة والبلاغة تساعد على فهم معاني ألفاظ القرآن الكريم وتمتع قارئ القرآن لشدة جمال هذه الألفاظ وعلى الرغم من أهمية ضروب الإعجاز فإن الإعجاز البياني على رأسها فإذن يمكن لنا أن نقول : إنّ أبرز هذه المناحي، هو تحدي القرآن الكريم العرب أن يأتوا بمثله فعجزوا ثم تحداهم بعشر آيات فعجزوا ثم تحداهم بآية فبهتوا، فقضية الإعجاز البياني

بدأت تفرض وجودها على العرب من أول المبعث، فمنذ أن تلا المصطفى صلى الله عليه وسلم في قومه ما تلقى من كلمات ربه، أدركت قريش ما لهذا البيان القرآني من إعجاز لا يملك أي عربي يجد حسَّ لغته وذوقها الأصيل سليقة وطبعاً، إلا أن يسلم بأنه ليس من قول البشر.فإذا أدرك العربي أن قوله سبحانه:(فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ

استعمل فيه كلمة الإغراء دون الإلقاء لتدل على الإلصاق والدوام، فإن هذا يمكن أن يدركه غير العربي حينما يفسر له. حيث إن القرآن الكريم يخاطب العقل والشعور معاً لأن القرآن لا يعتمد على التفكير وحدة ليقنع، ولكنه يتجه إلى إثارة الوجد أن إثارة وحية رفيعة، تحدث السرور في النفس فتقبل، أو تحدث الألم فيها فتأبى وترفض. حيث في القرآن الكريم مظهر غريب لإعجازه المستمر لا يحتاج في تعرفه إلى روية ولا إعنات، وما هو إلا أن يراه من اعترض شيئاً من أساليب الناس حتى يقع في نفسه معنى إعجازه، لأنه أمر يغلب على الطبع وينفرد به فيبين عن نفسه بنفسه، كالصوت البالغ في التطريب لا يحتاج امرؤ في معرفته وتمييزه إلى أكثر من سماعه.( ) وتكمن روعة الإعجاز القرآني في روعة فواصله الدقيقة وروعه نسجه المتماسك وذلك في رؤوس الآي والتشابك الجميل الأخاذ فيها ،فقد عرّفت الفواصل بأنّها :حروف متشابكة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني، وفرَّق الداني بين الفواصل ورؤوس الآي، الفاصلة هي الكلام المنفصل عما بعده، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس. وكذلك الفواصل تكون رؤوس آية وغيرها، وكل رأس آية فاصلة، وليس كل فاصلة رأس آية والفواصل تابعة للمعاني، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها، وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة، لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدلُّ بها عليه والفواصل على وجهين: أحدهما: على الحروف المتجانسة، والآخر: على الحروف المتقاربة فالحروف المتجانسة كقوله تعالى في فاتحة سورة الطور: (وَالطُّورِ وكِتَابٍ مَّسْطُورٍ) وأما الحروف المتقاربة كالميم مع النون في قوله تعالى: (الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) وكالدال مع الباء في قوله تعالى: (ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ) ثم قال: (بلْ عَجِبُوا أَن هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ

التجانس: هو بيان لأنواع الكلام الذي يجمعه أصل واحد في اللُّغة وهو على وجهين: مزاوجة، ومناسبة فالمزاوجة تقع في الجزاء كقوله: (فَمَنِ عْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) أي جازوه بما يستحق على العدل، إلاَّ أنه استعير للثاني لفظ الاعتداء لتأكيد الدلالة على المساواة في المقدار، فجاء على مزاوجة الكلام لحسن البيان

والثاني من المجانس، وهو المناسبة، وهي تدور في فنون المعاني التي ترجع إلى أصل واحد، فمن ذلك قوله تعالى:( ثُّم انصَرَفُواْ صَرَفَ اللّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُون) فجونس بالانصراف عن الذكر صرف القلب عن الخير، والأصل فيه واحد، وهو الذهاب عن الشيء، أما هم فذهبوا عن الذكر في قلوبهم فذهب عنها الخير. إلى غير ذلك من وجوه البلاغة التي تقدَّم ذكرها، وتعرضنا لبعضها بشيء من التوضيح مما يدلُّ على بلاغة القرآن، وحسن أسلوبه ونظمه، ودلالة ألفاظه .

ونخلص من هذا العرض إلى:

أنَّ القرآن الكريم معجز في لفظه وأسلوبه، فما من حرف أو كلمة أو آية أو سورة إلاَّ وضع في موضعه اللائق به، لحكمة يعلمها مُنزِله سبحانه، ولو نُزعت منه لفظة ثم أُدير لسان العرب على أحسن منها، ما وُجد ذلك، ولن تتسع له اللُّغة بكلمة واحدة.

حيث يقول الإمام الخطابي: (إنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لها ناظم. وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه، وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها، والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها.. فتفهم الآن، واعلم أنَّ القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التأليف، مضمَّناً أصح المعاني.. ومعلوم أنَّ الإتيان بمثل هذه الأمور، والجمع بين شتاتها حتى تنتظم وتتسق، أمر تعجز عنه قوى البشر، ولا تبلغه قدورهم).

دعوى الترادف في القرآن الكريم:

التعريف في اللغة والاصطلاح: إنّ موضوع الترادف لا يُمكن أن يُحسم في مثال أو مثالين، فهو يحتاج إلى دراسات مستقلة، فمنهم مَن يُنكِر الترادف، ومَن يؤيده، وكان هدف الفريقين إثبات المزيّة، وليس الطعن في لغة القرآن الكريم، ومن ثمّ فإن ما يعنينا نحن في هذه الدراسة هو البحث عن سر التعبير بهذه الألفاظ، سواء أقيل هي من الترادف، أم نُفِيَ عنها ذلك، المهم ألا يكون القول بالترادف حائلاً دون البحث عن سر التعبير بها، أمّا أن ننعت الكلمات أو الأشياء دون البحث عن سبب الاستخدام فهذا غير مقبول في التحليل البيان، إنّ المفردة أصل الدقّة في التعبير القرآني، وذلك في اختيار الألفاظ، وانتقاء الكلمات، فالمعرفة لها شأنّها، والنكرة لا تقل

عن ذلك، ومثله اختيار المفرد أو الجمع، وغيره من أنواع التصريفات، شرط أن يكون ذلك محكوماً أو موَشَّحا بدقة المعنى، والوفاء بالقصد، إضافة إلى تحديد المدلول، حتى تُمسي المفردة كأنّها خلقت هذا الموضع دون غيره، فلا المكان يُريد بساكنه بدلا، ولا الساكن يبغي عن منزله حِولا، كلمات قرآنية يراها كل واحد مقدَّرة على مقياس عقله، وعلى وفق حاجته ).

بعد هذه المقدمة نشرع في بيان الترادف لغة واصطلاحاً:

اما الترادف لغةً: هو من ردف ردف الردف ما تبع الشيء، وكل شيء تبع شيئا فهو ردفه وإذا تتابع شيء خلف شيء فهو الترادف

**الترادف اصطلاحاً:**

المترادف ما كان معناه واحدا وأسماؤه كثيرة وهو ضد المشترك أخذا من الترادف الذي هو ركوب أحد خلف آخر كأن المعنى مركوب واللفظين راكبان عليه كالليث والأسد والترادف التتابع مردفين يتبع بعضهم بعضا ويردف آخره أي يتبعه ،وهو :الاتحاد في المفهوم أو توالي الألفاظ الدالة على مسمى واحد.

موقف العلماء العرب من الترادف:

أ- المنكرون للترادف من العرب: أبو علي الفارسي: أسماء السيف هي صفات لمسمى واحد،وقال ابن فارس: في قعد معنى ليس في جلس، وهو مذهب أبي العباس ثعلب،أما أبو هلال العسكري( ) فقال: محال في لغة واحدة، أما الراغب الأصفهاني فقال : وجود فروق غامضة بين الألفاظ المترادفة.

ب- المثبتون للترادف من العرب: الأصمعي ابن خالويه التهانوي إبراهيم أنيس

ودراسة اللفظ القرآني دراسة سياقية؛ أي دراسته في سياقه القرآني الذي استعمل فيه. وقد تكون في بعض الحالات المعين الوحيد للوصول إلى الفروق الظلال الدلالية التي تفرق بين ألفاظ لا تفرق بينها المعاجم ولا كتب اللغة والتفسير وتعدها مترادفة. وجدير بالذكر أن دراسة السياق تحتاج كذلك إلى علم مناسبات النزول، وقد نبه الزركشي إلى أهمية دلالة السياق في توضيح معاني الألفاظ، فقال:" إنها ترشد إلى تبين المجمل والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام وتقييد المطلق ، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظيره ، وغالط في مناظراته ويمكن لنا أن نبين أن لا ترادف في القرآن الكريم وذلك من خلال ما يأتي:

ألف العزة وياء الذلة:

١- ألف العزة : هي الألف في كلمة ( عباد ) التي وردت في القرآن الكريم حوالي مائة مرة في معظمها وصف بها المسلمون المطيعون لله ، لذلك لا نخطئ إذا قلنا : إن غالب كلمة ( عباد ) في القرآن يراد بها المسلمون المطيعون لله تبارك وتعالى كما قال تعالى : وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا نمعن النظر في الألف الممدودة في وسط كلمة ( عباد) نجدها توحي بالعزة والمنعة والرفعة والسمو ، وكأنها مرفوعة الرأس بطاعة الله تعالى ، منصوبة القامة باستمرار، وهذه العزة والرفعة والسمو نلحظها في حياة عباد الرحمن المطيعين لله تبارك وتعالى، وفي أخلاقهم ومعاملاتهم ، يعيشون بعزة قوله تعالى : أعزة على الكافرين .

وقد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ، ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله

٢- ياء الذلة : إذا كانت ألف ( العباد ) ألف عزة ، فإن ياء ( العبيد ) هي ياء الذلة ! وإذا كان غالب استعمال ( عباد ) في القرآن للمؤمنين ، فإن كلمة ( عبيد ) في القرآن وردت وصفاً للكفار والعصاة ،وردت كلمة ( عبيد ) خمس مرات في القرآن الكريم فقال الله تبارك وتعالى عن كفر اليهود : لَّقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ . ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ .